

ثبات القيم بين الإسلام والبراغماتية  
- قيمة الصدق أنموذجاً - دراسة تأصيلية مقارنة

إعداد الدكتور

مدني بن محمد قاسم كلفوت

الأستاذ المساعد بقسم الدعوة والثقافة الإسلامية  
بكلية الدعوة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية



ثبات القيم بين الإسلام والبراغماتية - قيمة الصدق أنموذجا -  
"دراسة تأصيلية مقارنة"

مدني بن محمد قاسم كفوت

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية  
السعودية.

البريد الإلكتروني: madani.kt@iu.edu.sa

**ملخص البحث:** يهدف هذا البحث لتسليط الضوء على مفهوم ثبات القيم الإسلامية ومرونتها تحقيقاً للمصلحة الراجحة، مقارنة بالقيم في المذهب البراغماتي، مع بيان التأصيل الشرعي لثبات قيمة الصدق ومقاصده الحسنة في الإسلام، في مقابل ثباته في البراغماتية كمذهب وضعي يعتمد مبدأ تحقيق المصلحة الفردية واقتضت طبيعة البحث اتباع المنهج التأصيل والمقارنة؛ واستخلاص المادة العلمية من مضائها؛ وفق ما يتناسب مع مقتضى وحاجة البحث.

**الكلمات المفتاحية:** الثبات - المرونة - القيم - الإسلامية - البراغماتية.

**Immutability of Values between Islam and Pragmatism  
–the Value of Honesty as Case Study–  
"An Originating Comparative Study"**

**Madani bin Mohammed Qasim Kalfut**

**Department of Da'wah and Islamic Culture, Islamic  
University of Madinah, Madinah, Kingdom of Saudi Arabia.**

**Email: [madani.kt@iu.edu.sa](mailto:madani.kt@iu.edu.sa)**

**Abstract:**

This research aims at shedding light on the concept of immutability and flexibility of Islamic values, in order to achieve the preponderant benefit, compared to the values in the pragmatic doctrine, with a statement on the legal origination for the immutability of the value of honesty and its lofty objectives in Islam, in contrast to its immutability in pragmatism as a man-made doctrine that employs the principle of achieving individual benefit. The nature of the research necessitated following the method of originating and comparison, and extracting the scholarly material from the sources, based on what is appropriate and necessary in the research.

**Keywords:** Immutability – flexibility – values – Islamic – pragmatism.

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وأصلي وأسلم على رسولنا خير الأنام؛ الذي بعثه الله رحمة للعالمين، وهاديا وبشيرا بهذا الدين العظيم، اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن سلك نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

أمّا بعد: فقد أجزل الله علينا نعمه تترأ، فسوّانا على خير خِلقَة، ووجهنا لخير خُلق، وجعلنا لنا قدوة وصفها لنا في محكم التنزيل فقال عنه عز وجل: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، بأبي هو وأمي نبينا محمد الأمين، الذي اصطفاه ربنا ليكون قدوة للعالمين، في توحيده لله وامتناله لأوامره ونواهيه، وفي تمسكه بكل خلق عظيم.

وها هو ديننا الحنيف جاءنا بالدعوة إلى كل خلق حميد، والانتهاه عن كل خلق ذميم، ومن هذه الدعوة العظيمة، أسلط الضوء على ثبات القيم الإسلامية مقارنة بالمذهب البراغماتي، وفي جزئية دقيقة نتحدث عن قيمة الصدق أنموذجا في بيان المصلحة الشرعية بين الثبات والمرونة، في مقابل قيمة الصدق في البراغماتية.

وقد اخترت أن يكون هذا البحث بعنوان (ثبات القيم بين الإسلام والبراغماتية - قيمة الصدق أنموذجا -)، والذي أرجو من الله عز وجل أن يكتب له القبول وأن يكون بحثا يقدم إثراء معرفيا لكل باحث ومتخصص في الدعوة وأصول الدين.

وفيما يلي سأختصر نقاطا نتحدث عن أهمية هذا الموضوع كما يلحق بذلك خطة البحث التي يتبين من خلالها تفاصيل الموضوع وأبرز جوانبه التي سنتيح للقارئ الإمام به وإدراك أهميته كما سيأتي بإذن الله.

■ موضوع البحث ومشكلته وأسئلته:

لقد اتجهت أنظار العالم المعاصر اليوم نحو كل ما هو جديد وعصري مما يلبي حاجات النفس البشرية؛ حتى بدت الحياة وكأنها لون من ألوان الترف الباهت الذي لا طعم له أو ذوق بعيدا عن القيم النبيلة التي تضبط المجتمعات وفق قوانين الحياة الأخلاقية، والتي من أبسطها تحقيق قيمة الصدق التي تعد من مبادئ حسن التواصل ونماء العلاقات بين الناس، مع معرفة متى نحقق المصلحة الراجحة من مرونة قيمة الصدق للحفاظ على العلاقات بين الناس واستمرار لونها الزاهي؛ النابع من التمسك بمنظومة القيم الحسنة بعيدا عن تقديم المصلحة الشخصية، أو التلاعب بمفهوم الصدق بين الناس وازدواجيته كقيمة لها رونقها في المفهوم الإنساني، وقد جاء هذا البحث الموسوم بـ (ثبات القيم بين الإسلام والبراغماتية - قيمة الصدق أنموذجا -)؛ للإجابة على الأسئلة الآتية:

١. ما التأصيل الشرعي لسمة الثبات في القيم، ومن ضمنها قيمة (الصدق)؟
٢. كيف نحقق المصلحة الراجحة من خلال ثبات القيم ومرونتها؟
٣. ما هي حقيقة ثبات القيم في الإسلام؟
٤. هل البراغماتية تحقق مبدأ ثبات القيم أم أن لها واقع مختلف؟

■ أهداف البحث:

١. التعريف بواقع ثبات القيم ومرونتها.
٢. الوقوف على جوانب التأصيل الشرعي لثبات القيم، ومن ضمنها قيمة (الصدق).

٣. التعرف على مبادئ تحقيق المصلحة الراجعة من خلال ثبات القيم ومرونتها.

٤. إدراك حقيقة ثبات القيم ومرونتها في المذهب البراغماتي.

#### ■ أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. أهمية منظومة القيم في حياة الناس.
  ٢. معرفة التأصيل الشرعي لسمة ثبات القيم، ومن ضمنها قيمة (الصدق).
  ٣. بيان دور المصلحة الراجعة وتحقيقها في ثبات القيم ومرونتها.
  ٤. الحاجة لإدراك المقارنة بين ثبات القيم ومرونتها في الإسلام والبراغماتية.
- #### ■ الدراسات السابقة:

الدراسات التي تناولت الحديث عن القيم الإسلامية وأيضا مقارنتها بالفكر الغربي متعددة ومتنوعة، وقد وجد الباحث عدة دراسات تطرقت للموضوع وتناولته من جوانب مختلفة، ومن أشهر تلك الدراسات، ما يأتي:

**الدراسة الأولى:** بعنوان (دراسة ناقدة للفلسفة البراغماتية في ضوء المعايير الإسلامية)، للباحث/ محمد خضر شبير، ماجستير من كلية التربية، الجامعة الإسلامية، غزة، ١٤٣١هـ.

تحدث فيها الباحث عن موقف الإسلامية من بعض مبادئ الفلسفة البراغماتي؛ ومن ضمنها القيم، ومن أبرز ما بينته الدراسة في هذا الجانب وفق خطة البحث؛ الحديث عن "رأي التربية الإسلامية من موقف الفلسفة البراغماتية للقيم"؛ من حيث المصدر والنسبية والجانب النفعي.

وتتفق تلك الدراسة مع هذا البحث في الحديث عن القيم ومقارنتها بين الإسلام والمذهب البراغماتي، إلا أنَّهما يختلفان في الأهداف والمنهج، فالدراسة الأولى ركزت على المصدر والنسبية والجانب النفعي، بينما هذه الدراسة تُعنى بالمقارنة بين الإسلام والمذهب البراغماتي في جزئية معينة؛ من جانب ثبات القيم ومرونتها وتحقيق المصلحة الراجحة بين الإسلام والبراغماتية.

**الدراسة الثانية:** بعنوان (الفردية في الفلسفة البراغماتية دراسة تحليلية ناقدة من وجهة نظر التربية الإسلامية)، للباحث/ نايف بن عبدالرازق المطرفي، ماجستير من كلية التربية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٣هـ.

ويلحظ الباحث أنَّ هذه الدراسة سلطت الضوء على مقارنة المذهب الفلسفي بمبدئه الفردي من وجهة نظر التربية الإسلامية، خصوصاً في جزئيات متعددة من أبرزها وفق خطة البحث "معالم الفردية في نظرة البراغماتية للقيم"، وأمَّا هذه الدراسة فإنها تتحدث عن ثبات القيم ومرونتها بين الإسلام والبراغماتية من حيث تحقيق المصلحة الراجحة - قيمة الصدق أنموذجاً-.

**الدراسة الثالثة:** بعنوان (قيم السلوك مع الله عند ابن القيم الجوزية)، للأستاذ الدكتور/ مفرح بن سليمان القوسي، أستاذ الثقافة الإسلامية، جامعة محمد بن سعود الإسلامية، المملكة العربية السعودية، ١٤٣٦هـ.

ويلحظ الباحث أنَّ هذه الدراسة سلطت الضوء على القيم الإسلامية التي تطرق لها الإمام ابن القيم رحمه الله؛ ومنها الحديث عن قيمة "الصدق" على وجه العموم، وأمَّا هذه الدراسة فقد أضافت مقارنة قيمة الصدق ثباتاً ومرونة بين الإسلام والبراغماتية من حيث تحقيق المصلحة الراجحة.

وقد استفدت من هذه الدراسات السابقة؛ من حيث الاطلاع على جوانب الموضوع وحصر جزئياته، والتركيز على تقديم ما هو جديد عند الحديث عن



موضوع الدراسة الموسوم بـ(ثبات القيم بين الإسلام والبراهماتية - قيمة الصدق أنموذجا -)، مع بذل الجهد في إثراء البحث بالتأصيل الشرعي إضافة لمخرجات الدراسة المقارنة بين محوري البحث الإسلام والبراهماتية.

#### ■ منهج البحث:

انتهج الباحث منهج التأصيل والمقارنة<sup>(١)</sup>، وذلك من خلال دراسة سمة الثبات في القيم وتأصيلها شرعياً، مع مقارنة ثبات قيمة الصدق بين الإسلام والبراهماتية؛ من حيث تحقيق المصلحة الراجحة، والاستعانة بكل ما يثري هذا البحث من مصادر ومراجع تضي عليه مزيداً من المعرفة العلمية بما يخدم مجال التخصص.

#### وثمة خطوات منهجية سار عليها الباحث تتمثل في:

- عزو الآيات القرآنية وكتابتها بالرسم العثماني.
- عزو الأحاديث النبوية إلى مصادرها.
- عزو الأقوال والنصوص إلى مصادرها، ووضع المنقول منها بين قوسين ( ).
- تعريف ما يحتاج إلى تعريف من مفردات الموضوع.
- توثيق المصادر والمراجع في الحاشية على نمط (شيكاغو - Chicago).
- وضع فهرس فنية تسهل الرجوع إلى عناصر البحث حسب المذكور في الخطة.

(١) الأبحاث المقارنة: هي التي تسعى إلى إبراز مواطن الوفاق، أو الخلاف بين قضيتين أو قضايا في موضوع واحد، مع تفسير ذلك وتعليله. وإثارة كل ما يمكن أن يمد الباحث بمعلومات مفيدة في مجال البحث. ينظر: د. فريد الأنصاري، "أبجديات البحث في العلوم الشرعية". (ط١، الدار البيضاء: منشورات الفرقان، ١٩٩٧م)، ٩٠؛ وينظر: د. عبدالوهاب إبراهيم أبو سليمان، "كتابة البحث العلمي صياغة جديدة". (ط٩، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٥م)، ٢٥.

## عناصر البحث

وتقتضي خطة البحث تقسيمه إلى: تمهيد ومبحثين وخاتمة.

❖ التقسيمات:

❖ التمهيد: التعريف بمصطلحات البحث. وفيه:

▪ أولاً: مفهوم الثبات.

▪ ثانياً: مفهوم القيم.

▪ ثالثاً: مفهوم البراغماتية.

❖ المبحث الأول: ثبات القيم بين الإسلام والبراغماتية. وفيه ثلاثة مطالب:

▪ المطلب الأول: التأصيل الشرعي للثبات.

▪ المطلب الثاني: ثبات القيم في الإسلام.

▪ المطلب الثالث: ثبات القيم في البراغماتية.

❖ المبحث الثاني: قيمة الصدق بين الإسلام والبراغماتية. وفيه ثلاثة مطالب:

▪ المطلب الأول: التأصيل الشرعي لقيمة الصدق.

▪ المطلب الثاني: قيمة الصدق في الإسلام.

▪ المطلب الثالث: قيمة الصدق في البراغماتية.

## التمهيد

### التعريف بمصطلحات البحث

#### ■ أولاً: مفهوم الثبات.

**الثبات لغة:** أثبت حجتَهُ: أقامها وأوضحها. وقولٌ ثابتٌ: صحيحٌ. ويقال للشيء شديد الثبات: رصينٌ. ويُقال رَسَخَ: ثَبَتَ، وَكُلُّ رَاسِخٍ ثَابِتٌ. وَيَثْبُتُ ثُبُوتًا دَامًا وَاسْتَقَرَّ (١).

**الثبات اصطلاحاً:** هو لزوم الحق؛ ومنه (القول الثابت وهو فعل ما أمر به العبد، فبهما يُثبِت اللهُ عبده؛ وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمتها، فهي أعظم ما يُثبِت اللهُ بها عبده في الدنيا والآخرة) (٢).

#### ■ ثانياً: مفهوم القيم.

**القيم لغة:** والقيمةُ: واحدة القيم، وأصله الواو لأنه يَقُومُ مَقَامَ الشيء. والقيمةُ: ثمن الشيء بالنقويم. والقيمةُ بالكسر: واحدة القيم، وما له قيمةٌ: إذا لم يَدُم على شيءٍ، واستقامَ: اعتدلَ، وَقَوْمُهُ: عدلته، فهو قويمٌ ومُسْتَقِيمٌ. وَقَوَامُ الأمر بالكسر: نِظَامُهُ وَعِمَادُهُ (٣).

**القيم اصطلاحاً:** لقد عرّف مصطلح القيم بالعديد من التعريفات؛ منها: (حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتدياً بمجموعة المبادئ والمعايير التي ارتضاها

(١) ينظر: محمد بن مكرم بن منظور، "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ)، من الجذر "ثبت"، ٢: ٢٠؛ وأحمد بن فارس، "مجلد اللغة". دراسة وتحقيق: زهير بن عبد المحسن سلطان، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م)، ١: ٣٧٩؛ وأحمد بن فارس، "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٩٧٩م)، ٢: ٣٩٥؛ وأحمد بن محمد الحموي، "المصباح المنير". (بيروت: المكتبة العلمية)، ١: ٨٠.

(٢) ينظر: محمد بن أبي بكر بن القيم، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م)، ١: ١٣٦.

(٣) ينظر: ابن منظور، "لسان العرب"، من الجذر "قيم"، ١٢: ٥٠٠؛ وأبو طاهر محمد الفيروز آبادي، "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م)، ١١٥٢؛ ومحمد بن أبي بكر الرازي، "مختار الصحاح". تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (ط٥، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م)، ٢٦٢.

الشرع؛ محددًا المرغوب فيه والمرغوب عنه من السلوك<sup>(١)</sup>. وقيل أيضا: (القيم: الفضائل الدينية والخلقية والاجتماعية التي تقوم عليها حياة المجتمع الإنساني)<sup>(٢)</sup>.

### ■ ثالثًا: مفهوم البراغماتية.

البراغماتية لغة: لفظ مشتق من نفس الكلمة اليونانية "براغماترم" بمعنى العمل التي تؤخذ منها كلمتا "مزاولة" و"عملي"، وكان أول من أدخل اللفظ في الفلسفة "تشارلز بيرس"<sup>(٣)</sup> في سنة ١٨٧٨م، في مقال بعنوان "كيف نجعل أفكارنا واضحة" نشر في عدد يناير من تلك السنة لمجلة "POPULAR SCIENCE MONTHLY"، ذكر "بيرس" بعد أن أشار إلى أن -عقائدنا هي في الواقع قواعد للعمل والأداء- أننا لكي ننشئ معنى فكرة، فكل ما نحتاج إليه فقط هو تحديد أي سلوك تصلح لإنتاجه<sup>(٤)</sup>.

البراغماتية اصطلاحًا: هي حركة فلسفية تؤكد النتائج العملية، وتشدد على المنفعة لا الحقيقة الموضوعية<sup>(٥)</sup>. وقيل أيضا: (مذهب فلسفي، سياسي، اجتماعي، مادي بحث، يقيس القضية بنتائجها العملية المفيدة)<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر: د. حامد زهران، "علم النفس الاجتماعي". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٧م)، ١٣٢.

(٢) ينظر: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م)، ٣: ١٨٧٨.

(٣) تشارلز بيرس: فيلسوف أمريكي، ولد في كامبردج سنة ١٨٣٩م، درس الفلسفة والمنطق، وكانت أول فلسفة هامة له "كيف نوضح أفكارنا"، والتي أرسى من خلالها دعائم الذرائعية. ينظر: جورج طرابيشي، "معجم الفلاسفة". (ط٣، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م)، ٢٢٠-٢٢١.

(٤) وليام جيمس، "البراغماتية". ترجمة: محمد علي العريان، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م)، ٦٤.

(٥) ينظر: عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ١: ١٨٠.

(٦) ينظر: د. أحمد بن عبدالعزيز الخلف، "الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة". (ط١، المدينة المنورة: دار الإمام مسلم، ١٤٣٧هـ)، ٩٧. وينظر: عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ١: ١٨٠.

## المبحث الأول

### ثبات القيم بين الإسلام والبراهمة

#### ■ المطلب الأول: التأصيل الشرعي للثبات.

إن سمة الثبات تعد من أصول الحقائق والعلوم، إذ هي الحالة الأولى التي تلازمها على الدوام، والثبات دلالة على الرصانة والحجة والرسوخ؛ إلا أن هنالك من الأصول أو القواعد ما يكون قابلاً لما يصاد سمة الثبات فيلحق به التغيير، وهنا لا أتحدث عن أصول الدين كأركان الإيمان والإسلام، بل الحديث عن بعض القيم الإسلامية التي اتسمت بالمرونة لتحقيق المصلحة الشرعية التي حثنا عليها الشارع الحكيم لعدد من الاعتبارات التي تخدم المقاصد الشرعية في الإسلام.

وقد وردت لفظة الثبات في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأيضاً تحدث عنها السلف، لكون هذه اللفظة أصل مكين في تحقيق الثبات على الدين، كما سيتضح من خلال الأدلة الشرعية التي تبين المكانة الشرعية لسمة الثبات:

#### أولاً: من القرآن الكريم.

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا كُنَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيثًا﴾ [النساء: ٦٦]، فوردت في الآيتين الكريمتين لفظة "يثبت" و"الثابت" و"تثبينا"، وهي من ألفاظ الثبات.

فالمراد في الآية الأولى ما رواه الإمام الطبري عن قتادة رضي الله عنهما أنه قال: (أما "الحياة الدنيا" فيثبتهم بالخير والعمل الصالح، وقوله "وفي الآخرة"، أي في القبر)<sup>(١)</sup>.

وفي الآية الثانية يتضح المراد مما رواه الإمام ابن المنذر عن عبيدة رضي الله عنهما أنه قال: ("وأشد تثبيتا" من: الإثبات، منها: اللهم ثبتنا على ملة رسولك)<sup>(٢)</sup>.

ويتضح من خلال ما نقلته من أقوال أهل العلم أن المراد بألفاظ الثبات في القرآن الكريم؛ ثابتين أحدهما في الدنيا وثبات آخر يكون في الآخرة، وذلك تحقيقاً لمراد الله وحكمته من خلق الخلق وابتلائهم بالحياة الدنيا، وأن ما بعد هذه الحياة موت ثم بعث ونشور، وهذه عقيدة ثابتة لا مناص فيها، ولأجل ذلك جعل المولى عز وجل الثبات منه تفضلاً على عباده الصالحين الذين يرجون ما عند الله، فيثيبهم الله عز وجل ثباتاً في الدنيا بالأقوال والأعمال الصالحة، ثم يلحقهم ثبات في القبر عند سؤال الملكين.

### ثانياً: من السنة النبوية:

فقد روى الإمام الترمذي عن أنس رضي الله عنهما أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يكثر أن يقول يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك فقلت يا رسول الله آمنة بك وبما جننت به فهل تخاف علينا؟ قال: «نعم؛ إن القلوب بين إصبعين من

(١) ينظر: محمد بن جرير الطبري، "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١، ٢٠٠٠م)، ١٦: ٦٠٢.

(٢) ينظر: أبو بكر محمد بن المنذر، "كتاب تفسير القرآن". تحقيق: سعد بن محمد السعد، (ط١، المدينة المنورة: دار المآثر، ٢٠٠٢م)، ٢: ٧٨١.

أصابع الله يقلبهما كما يشاء»<sup>(١)</sup>، ووردت لفظة "ثبت" في الحديث النبوي على صيغة الطلب والدعاء لله عز وجل؛ طلبا لثبات القلب على الإيمان والهدى، ودلالة على أن قلب الإنسان جبل على التقلب والتغير ما لم يوفق بهداية الله وتثبيتته على الحق، لأن الإنسان لا يأمن على نفسه وقوع الفتنة وتغير وتحول القلب على غير هدى.

يقول الشيخ مقبل الوداعي رحمه الله في سياق حديثه عن الثبات والتغير: (وأنا لست ضامنا ألا أتغير، وكل أحد لا يستطيع أن يضمن نفسه من التغير)<sup>(٢)</sup>، حاثا على التزام دعاء النبي ﷺ بطلب الثبات من الله عز وجل.

### ثالثا: من أقوال السلف الصالح:

لقد علم سلفنا الصالح معنى الثبات؛ فكانوا أثبت الناس على الدين وألزمهم بصراط الله المستقيم، وأكثرهم حجة وبيننا وفق منهج نبيه الكريم، وخلال فهم لهذا المعنى العظيم فقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله: (فأثبت الناس قلبا أثبتهم قولاً، والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب؛ فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة؛ ولهذا ترى الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوثاً وأقلهم ثباتاً)<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه: محمد بن عيسى الترمذي، "الجامع الصحيح سنن الترمذي". تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)، رقم الحديث (٢١٤٠)، ٤: ٤٤٨. صححه الألباني.  
(٢) أبو عبد الرحمن مقبل بن هادي الوداعي، "تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب". (ط٢)، صنعاء: دار الآثار، (٢٠٠٢م)، ١٥٤.  
(٣) ينظر: ابن القيم، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، ١: ١٣٦.

ويظهر مما تقدم ذكره في التأصيل الشرعي لسمة الثبات، (أن الشارع الحكيم قد ختم شرائعه بشريعة الإسلام التي اتسمت بالثبات والبقاء)<sup>(١)</sup>، منهاجاً وشريعة وإيماناً لمن وفقه الله لنيل هذه الهبة العظيمة منه سبحانه.

### ■ المطلب الثاني: ثبات القيم الإسلامية.

لقد ميز الله عز وجل خاتم شرائعه السماوية بالديمومة والثبات، بعد التمام والكمال؛ كما قال الله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَّمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال جل وعز: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، على خلاف الشرائع السماوية السابقة التي كانت قد امتازت بكونها شريعة مخصوصة لقوم مخصوصين في زمن مخصوص ولحكمة إلهية أرادها الله عز وجل، وجعل منها عظة وعبرة لقوم آخرين، سواء أكانت تلك الموعظة في أصول الدين أو حتى في القيم والفضائل من الأعمال؛ التزاماً بأحسنها واجتناباً ما نهى الله عنه مما أوقع الأقبام السابقة في عقاب الله، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَنْذِرُ لَهُمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ﴾ [القصص: ٥٩]، وذلك من تمام الحق والعدل والصدق الذي جاء به المرسلون من رب العالمين، ومن معالم ثبات القيم الإسلامية:

### أولاً: الثبات في خصائص القيم الإسلامية.

كما أن القيم الإسلامية قد امتازت أيضاً بخصائص جعلتها في مكانة عليّة فوق كل قيم توافرت في الأديان الوضعية أو المذاهب الفكرية الغربية؛ وتلك الخصائص هي:

(١) ينظر: أحمد بن علي الجصاص، "أحكام القرآن". تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ)، ٢: ٢٨١.



١. ربانية المصدر؛ فهي من عند الله شرعة ومنهاجا.
٢. الشمول والعموم؛ لكونها شاملة لكل القيم الفاضلة وعامة لجميع البشر.
٣. ملائمة للفطرة؛ جاءت متسقة مع فطرة الإنسان وقدراته وطاقاته.
٤. الوسطية؛ كونها وسط فلا إفراط ولا تفريط وهذا منهج الإسلام القويم.
٥. الواقعية واليسر؛ فهي قيم من واقع الحياة البشرية لا من الفكر الوضعي.
٦. جامعة للثبات والمرونة؛ ما بين قيم عليا ثابتة لا تتغير وقيم تقبل المرونة<sup>(١)</sup>.

### ثانيا: الثبات في حفظ الضرورات الخمس.

فمن خلال ما تقدم ذكره من خصائص القيم الإسلامية التي اتسمت بالجمع بين الثبات والمرونة؛ يتضح أن الشريعة الإسلامية ذات مقاصد عظيمة جاءت لتحقيق المصلحة الراجحة التي تحفظ الحقوق في المجتمع وتمكّنه من حفظ الضرورات الخمس. قال الإمام الشاطبي رحمه الله تعالى: (اتفقت الأمة بل سائر الملل على أن الشريعة وُضعت للمحافظة على الضروريات الخمس وهي: الدين، والنفس، والنسل، والمال، والعقل)<sup>(٢)</sup>.

والقيم الإسلامية بعمومها وشمولها وثباتها وجدت لحفظ هذه الضرورات الخمس، بالدعوة إلى التمسك بالقيم الفاضلة، واجتناب الرذائل والموبقات التي توصل الإنسان إلى مهاوي الردى وتوقعه في ارتكاب ما يلحق الضرر بهذه الضروريات التي جاء الشارع الحكيم بحفظها وصيانتها. (ولا يمكن أن تجد حياة إنسانية كريمة؛ إلا بالمحافظة على هذه الضروريات، ولذلك كان المقصد الأول للشريعة إقامتها)<sup>(٣)</sup>.

(١) د. مانع بن محمد المانع، "القيم بين الإسلام والغرب". (ط١، الرياض: دار الفضيلة، ٢٠٠٥م)، ١٥٢-١٦٤، بتصرف.

(٢) إبراهيم بن موسى الشاطبي، "الموافقات". تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (ط١، دار ابن عفان، ١٩٩٧م)، ٣١:١.

(٣) ينظر: د. حمّادي العبيدي، "الشاطبي ومقاصد الشريعة". (ط١، بيروت: دار قتيبية، ١٩٩٢م)، ١٢٠.

### ثالثاً: الثبات في تحقيق المصلحة الشرعية.

ومن ثبات القيم الإسلامية تحقيق المصلحة الشرعية التي جاءت الشريعة بها. يقول العز بن عبدالسلام رحمه الله: (والشريعة كلها مصالح إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح)<sup>(١)</sup>.

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والشريعة مبناها على تحصيل المصالح وتكميلها وتعطيل المفاسد وتقليلها؛ وإلا فمن لم يوازن ما في الفعل والترك من المصلحة الشرعية والمفسدة الشرعية فقد يدع واجبات ويفعل محرمات)<sup>(٢)</sup>.

فالمصالح الشرعية تحقق الخير والمنفعة والصلاح، كما أن القيم الإسلامية جاءت لتحقيق هذا المصالح وتحقيق هذا النفع والخير، ولذلك اتسمت بثباتها نظراً لثبات الخير الذي فطره الله في الإنسان وأراد له تحقيقاً للمصلحة الشرعية؛ التي تحقق السلامة المجتمعية.

### رابعاً: الثبات في منظومة العبادات والأعمال والآداب الإسلامية.

فقد اتسمت منظومة العبادات والأعمال والآداب الإسلامية في مجملها بالثبات؛ فجماعها بمضمونها جاءت الشريعة حاثثة على الخير والصلاح وداعية لكل خير من العبادات والأقوال والأعمال والآداب، بل أن ثباتها من ثبات الكتاب والسنة الذين يعدان دستوراً لحياة المجتمع المسلم؛ ومن ذلك الدعوة إلى الخير والحق والعدل والإحسان والصدق والإخلاص والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغيرها، وكل ذلك من الإيمان بالله تعالى وكمال توحيدِهِ واتباع سنة نبيه ﷺ.

(١) أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، "قواعد الأحكام في مصالح الأنام". تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٩١م)، ١١:١.  
(٢) تقي الدين أبو العباس أحمد بن تيمية، "مجموع الفتاوى". تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٩٥م)، ١٠:٥١٢.

قال الإمام الشاطبي رحمه الله في مقامه حديثه عن الشريعة<sup>(١)</sup> وما يتضمنها من أصول وأحكام وعبادات وآداب: (فقد امتازت بالثبات من غير زوال؛ فلذلك لا تجد فيها بعد كمالها نسخا، ولا تخصيصا لعمومها، ولا تقييدا لإطلاقها، ولا رفعها لحكم من أحكامها، لا بحسب عموم المكلفين، ولا بحسب خصوص بعضهم، ولا بحسب زمان دون زمان، ولا حال دون حال، بل ما أثبت سببا؛ فهو سبب أبدا لا يرتفع، وما كان شرطا؛ فهو أبدا شرط، وما كان واجبا؛ فهو واجب أبدا، أو مندوبا فمندوب، وهكذا جميع الأحكام؛ فلا زوال لها ولا تبدل، ولو فرض بقاء التكليف إلى غير نهاية؛ لكانت أحكامها كذلك)<sup>(٢)</sup>. فثبات القيم الإسلامية هو من ثبات هذه الشريعة الغراء.

#### ■ المطلب الثالث: ثبات القيم البراغماتية<sup>(٣)</sup>.

إن البراغماتية تعد من المذاهب الفكرية الغربية التي ظهرت على أعقاب ضنك العيش الذي عايشه الإنسان الغربي خلال حقبة ما يسمى القرون الوسطى المظلمة، من التضيق عليه دينيا وعلميا وفكريا واجتماعيا وسياسيا، حتى تبددت تلك الظلمة بما يسميه الغرب عصر التنوير الذي جاء بالعجائب من الاتجاهات والتيارات والمذاهب الفكرية المعاصرة، التي امتزجت بالفلسفات القديمة مع طوارق الفكر الإنساني الحديث، وقد امتدت جغرافيا حتى لاقت الفكر الأمريكي ومنه ظهر لنا المذهب البراغماتي؛ الذي في مجمله قائم على تقديس الفرد والاعتداد بذاته بعيدا عن الدين، فهو طور من أطوار الديانة الإنسانية<sup>(٤)</sup>.

(١) اسم الشريعة والشرع والشرعة: فإنه ينتظم كل ما شرعه الله من العقائد والأعمال. ينظر: ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٣٠٦: ١٩.

(٢) ينظر: الشاطبي، "الموافقات"، ١١٠: ١.

(٣) البراغماتية: تقدم التعريف بمفهومها في الصفحة رقم: ١٢.

(٤) الديانة الإنسانية: مذهب يدعو إلى تأليه الإنسانية وتقديسها، والتَّضحية من أجلها، والاستعاضة بها عن الله في عبادته وتشريعها. ينظر: الخلف، "الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة"، ٦٥.

### أولاً: واقع ثبات القيم البراغماتية.

إن واقع القيم وثباتها في المذهب البراغماتي يوجد في جملة التجربة الإنسانية، لا في الفكر النظري البعيد عن الواقع، وإن الصدق في قضية ما: هو في كونها مفيدة للناس، فهي تجعل الفائدة العملية معياراً للتقدم بغض النظر عن المحتوى الفكري أو الأخلاقي أو العقدي، فالحقيقة معنى عملي يحقق المنفعة<sup>(١)</sup>.

ومن ذلك نستنتج بأن ثبات القيم في البراغماتية يعد منعماً قياساً على مبدئها النفعي؛ الذي يقيس الحقيقة بحسب واقع المنفعة التي تعود على الفرد بعيداً عن القيم الأخلاقية، فهي لا تشكل رادعاً له نظراً لانعدام الإيمان بالدين، ولا يحده عن فعل أي فعل يفتقد القيم الأخلاقية؛ إلا قوانين الدولة التي تلزمه بعدم التعدد على حقوق الآخرين، وما سوى ذلك فإن المصلحة الفردية هي الأصل في انتقاء القيم التي توصله إلى المنفعة.

### ثانياً: سمة تغير القيم البراغماتية.

إن أصل القيم في البراغماتية متمم بالتغير<sup>(٢)</sup> لا الثبات بحسب الحاجة تحقيقاً للمنفعة العمالية؛ وذلك يعود لمبادئ الفكر البراغماتي القائم على نبذ الثوابت الفطرية في الإنسان، من محاربة الدين وكل ما يدعوا إلى الإيمان وما يتضمنه من القيم والمبادئ، فحال البراغماتية هو اليقين بكل ما هو عملياً ونفعي للفرد بأي

(١) ينظر: المرجع نفسه، ٩٩.

(٢) التغير: عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى؛ مثل تغير الأحمر إلى الأبيض، والتغير إما في ذات الشيء أو جزئه أو الخارج عنه. ينظر: أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ٢٩٤.

وسيلة كانت؛ وإن كان ذلك يخالف منظومة القيم الإنسانية بذاتها والتي اتفقت البشرية على حسنها كالصدق والأمانة وغيرها من القيم الفاضلة.

ومن نتائج سمة تغير القيم البراغماتية فإنه يصل بها الحد للاستخفاف بصورية الصدق أو الكذب؛ نظرا لإسرافها في تقدير النتائج والآثار في مجال الحياة العملية<sup>(١)</sup>.

### ثالثا: المصلحة الفردية في القيم البراغماتية.

إن ظاهرة الالتزام ببعض الأخلاقيات الاجتماعية في المذهب البراغماتي قد تحمل صفة اعتبارية من وجهة نظر البعض، إلا أنها عند إمعان النظر والتحقيق فيها نجدها مجموعة من الفضائل ليست مقصودة لذاتها ثباتا وديانة؛ وإنما هي وفق مبدأ المنفعة العملية العائدة على الفرد بالفائدة المرجوة، فعلى سبيل المثال الأمانة والانضباط والدقة والالتزام بالمواعيد، كلها ليست مقصودة بذاتها كقيمة أخلاقية يحملها الفرد ديانة، وإنما الأصل فيها النظر لما يترتب عليها من كسب ما يحق المصلحة المحضة.

ولهذا ينكر مذهب البراغماتية وجود حقائق موضوعية وقيم مطلقة، واعتبر الحقيقة هي اختراع شيء جديد، وليس اكتشاف شيء موجود، ومقياسها يقوم على مدى نفعها في دنيا العمل، إذ ليس للحياة من هدف إلا العمل المنتج، ومن هنا وجب أن يسخر العقل في تسيير حياة الإنسان وإشباع رغباته، وألا يشغل نفسه بالبحث عن حقائق وطبائع الموجودات، فمتى استطاع الفرد تحقيق قدر أكبر من

(١) ينظر: د. توفيق الطويل، "أسس الفلسفة"، (ط٣)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، ٣٣٣.

المصلحة كانت النتيجة إيجابية المنفعة حتى لو كانت الوسائل سلبية تفتقد لأبرز القيم الأخلاقية كالصدق والأمانة<sup>(١)</sup>.

#### رابعاً: الغاية تبرر الوسيلة قاعدة براغماتية.

والأصل في جل المذاهب الفكرية المعاصرة المنبثقة عن العلمانية - كالمذهب البراغماتي - هو بناء مبادئها على هذه القاعدة الميكانيكية<sup>(٢)</sup>؛ "الغاية تبرر الوسيلة"، فهي تعتمد عليها في فلسفة الحكم والسياسة والأخلاق، وهو مبدأ يقوم على أن "الغاية تبرر الوسيلة" مهما كانت هذه الوسيلة منافية للدين والأخلاق<sup>(٣)</sup>. ولهذا تكون سمة الثبات متنافية تماماً مع مبادئ البراغماتية كمذهب سياسي واجتماعي وأخلاقي.

(١) ينظر: د. توفيق الطويل، "مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق". (١)، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٣م، ٢٦١.

(٢) الميكانيكية: هي نسبة إلى الفيلسوف نيكولا ميكافيلي فهو لم يكن مجرد كاتب وصاحب نظرية؛ بل ألف كتاباً أسماه "الأمير"، وقد أصبح هذا الكتاب الصغير منذ ظهوره في القرن السادس عشر مثار جدل كبير، كما أصبح مادة ضرورية لدراسة علم السياسة في عصر النهضة، وعلى الرغم من اشتغاله على عدد كبير من المبادئ والمفاهيم السياسية، إلا أن الخلاف لا يزال يدور حول ما فيه من مضامين أخلاقية، وقد عدّه علماء الأخلاق وخاصة في بريطانيا وفرنسا كتاباً مناسباً فقط للطغاة والأشرار. ينظر: نيكولا ميكافيلي، "الأمير". ترجمة: أكرم مؤمن، (القاهرة: مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع)، ٤-١٢.

(٣) ينظر: أ.د. حمود بن أحمد الرحيلي، "العلمانية وموقف الإسلام منها". (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ٥١٤٢٢هـ)، ٤١٠.

## المبحث الثاني

### قيمة الصدق بين الإسلام والبراهماتية

#### ▪ المطب الأول: التأسيس الشرعي لقيمة الصدق.

لقد امتن الله عز وجل على عباده بكمال الشريعة وهداهم لأحسن الأقوال والأفعال، ومن تمام هذه المنة العظيمة أن بعث فيهم رسولا من أنفسهم حريص عليهم بالمؤمنين رؤوف رحيم؛ ومن حرصه عليه الصلاة والسلام أن وجه أمته لأحسن الأخلاق؛ بل جعلها محط قياس بين الناس بالقرب منه أو البعد عنه يوم القيامة، وعن أهمية الأخلاق قال المصطفى ﷺ: «إنما بعثت لأتمم صالحى الأخلاق» وفي رواية الإمام أحمد: «صالح الأخلاق»<sup>(١)</sup>، وإن من أصلح الأخلاق "الصدق" الذي وصف الله به نفسه ووصف به أنبياءه ورسله وكذلك عباده المؤمنين.

ولتأسيس قيمة الصدق سأذكر الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح كما يلي:

#### أولا: من القرآن الكريم.

قال تعالى في محكم التنزيل: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾

(١) أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري، "الأدب المفرد". تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقى، (ط٣)، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٩م)، رقم الحديث (٢٧٣)، ١٠٤؛ وأحمد بن حنبل، "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (ط٢)، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م)، رقم الحديث (٨٩٥٢)، ٥١٢:١٤. صححه الألباني.

[الرّم: ٣٣]، وقال تعالى ﴿ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصّٰلِحِينَ صِدْقُهُمْ ۗ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرٰى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهٰرُ خٰلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۗ ذٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [المائدة: ١١٩]، والآيات متوافرة في القرآن الكريم والتي ذكر فيها الصدق بألفاظه المتعددة. قال الطاهر بن عاشور رحمه الله في الآية الأولى: (والاستفهام عن أن يكون أحد أصدق من الله هو استفهام إنكاري)<sup>(١)</sup>، وقال الإمام ابن أبي زمنين رحمه الله: ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴾ أي: (لا أحد أصدق منه)<sup>(٢)</sup>.

وقد نقل الإمام القرطبي رحمه الله أقوال الأئمة الأعلام في الآية الثانية حيث قال: (واختلف في الذي جاء بالصدق وصدق به، فقال علي رضي الله عنه: "الذي جاء بالصدق" النبي ﷺ "وصدق به" أبو بكر رضي الله عنه. وقال مجاهد: النبي عليه السلام وعلي رضي الله عنه. وقال السدي: "الذي جاء بالصدق" جبريل "والذي صدق به" محمد ﷺ. وقال ابن زيد ومقاتل وقتادة: "الذي جاء بالصدق" النبي ﷺ "وصدق به" المؤمنون. واستدلوا على ذلك بقوله: "أولئك هم المتقون")<sup>(٣)</sup>. وقال الجرجاني رحمه الله في معنى الصدق وحقيقته: (الصدق في اللغة: مطابقة الحكم للواقع، وفي اصطلاح أهل الحقيقة: قول الحق في مواطن الهلاك، وقيل: أن تصدق في موضع لا ينجيك منه إلا الكذب)<sup>(٤)</sup>.

(١) محمد الطاهر بن محمد بن عاشور، "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤هـ)، ١٤٨:٥.

(٢) أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بابن أبي زمنين، "تفسير القرآن العزيز". تحقيق: أبو الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، (ط١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ٢٠٠٢م)، ٣٩٣:١.

(٣) أبو عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م)، ١١٥:٢٠.

(٤) علي بن محمد الجرجاني، "التعريفات". تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م)، ١٣٢.



## ثانيا: من السنة النبوية:

وقد حثنا رسولنا الصادق الأمين على هذه الخصلة العظيمة والتمسك بها، وبين لنا الخير والثواب العظيم المترتب عليها، فقد روى الإمام البخاري عن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقاً وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً»<sup>(١)</sup>.

قال ابن بطال رحمه الله: ("إن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صدوقاً"، يعنى لا يزال يتكرر الصدق منه حتى يستحق اسم المبالغة في الصدق وكذلك قوله: "إن الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذاباً"، يعنى لا يزال يتكرر الكذب منه حتى يغلب عليه، وهذه الصفة ليست صفة عليه المؤمنين بل هي من صفات المنافقين وعلاماتهم)<sup>(٢)</sup>.

وقال القسطلاني رحمه الله: ("إن الصدق يهدي إلى البر" بكسر الموحدة وتشديد الراء أي: يوصل إلى الخيرات كلها والصدق يطلق على صدق اللسان وهو نقيض الكذب)<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه: محمد بن إسماعيل البخاري، "الجامع الصحيح". تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (ط٣)، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧م)، رقم الحديث (٥٧٤٣)، ٥: ٢٢٦١؛ وأبو الحسين مسلم بن الحجاج، "المسند الصحيح". (بيروت: دار الجيل، ١٣٣٤هـ)، رقم الحديث (٦٧٣٠)، ٨: ٢٩؛ وابن ماجه أبو عبد الله محمد القزويني، "سنن ابن ماجه". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية)، رقم الحديث (٤٦)، ١: ١٨.

(٢) ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف، "شرح صحيح البخاري". تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (ط٢)، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣م)، ٩: ٢٨١.

(٣) ينظر: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". (ط٧)، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ)، ٩: ٦٢؛ وأبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد

### ثالثاً: من أقوال السلف الصالح:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (والصدق والإخلاص هما في الحقيقة تحقيق الإيمان والإسلام؛ فإن المظهرين للإسلام ينقسمون إلى مؤمن ومنافق، والفارق بين المؤمن والمنافق هو الصدق، فإن أساس النفاق الذي يبني عليه هو الكذب)<sup>(١)</sup>.

ونقل الإمام الشاطبي عن أبي الحسن الوراق رحمه الله: أنه قال: (الصدق: استقامة الطريق في الدين، واتباع السنة في الشرع)<sup>(٢)</sup>.

ومن عظيم خصلة الصدق كونه أحد ركني التوحيد بالله عز وجل، فالتوحيد يقوم على ركنين عظيمين؛ أحدهما الصدق وثانيهما الإخلاص، كما قال الإمام ابن القيم رحمه الله في "توبيته":

والصدق والإخلاص رُكنا ذلك التوحيد كالركنين للبيان<sup>(٣)</sup>

وقال أيضاً: (والقول الثابت هو القول الحق والصدق، وهو ضد القول الباطل الكذب؛ فالقول نوعان: ثابت له حقيقة، وباطل لا حقيقة له، وأثبت القول كلمة التوحيد ولوازمها، فهي أعظم ما يثبت الله بها عبده في الدنيا والآخرة؛ ولهذا ترى

الفراهيدي، "العين". تحقيق: د. مهدي المخزومي و د. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال)، ٥٦:٥.

(١) ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ١٠:١١.

(٢) إبراهيم بن موسى الشاطبي، "الاعتصام". تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، (ط١، السعودية: دار ابن عفان، ١٩٩٢م)، ١:١٢٤.

(٣) محمد بن أبي بكر بن القيم، "متن القصيدة النونية". (ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ)، ٢١٩.

الصادق من أثبت الناس وأشجعهم قلباً، والكاذب من أمهن الناس وأخبثهم وأكثرهم تلوثاً وأقلهم ثباتاً<sup>(١)</sup>.

والصدق يعد أساً لانتظام بقية القيم الفاضلة في شخصية الفرد المسلم وهداياته للبر.

### ■ المطلب الثاني: قيمة الصدق في الإسلام.

لقد تحدثت عن التأصيل الشرعي لقيمة الصدق<sup>(٢)</sup> مستشهداً بأدلة الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح، وتحقق من خلال الأدلة ثبات القيم الإسلامية ومرونة البعض منها في أحوال بينها الشرعية؛ وفي مقدمتها قيمة الصدق التي لا تقبل التغيير بأي حال من الأحوال، ولكنها تقبل المرونة وفق المصلحة الشرعية، فإن الله يحب الصادقين، وإن الصدق يهدي إلى البر كما قال نبينا الكريم؛ فلا مناص عنه إلى ما سواه -الكذب-، وما سأورده في هذا المطلب هو من سنة المصطفى ﷺ القائل: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة»<sup>(٣)</sup>.

ومدار هذه الدراسة؛ الوقوف على ثبات قيمة الصدق ومرورته التي أوجدها الشارع الحكيم في هذه القيمة العظيمة، والتي وجدت لتحقيق المصلحة الشرعية؛ كما سيتضح من خلال السياق؛ بذكر الأحوال التي يجوز فيها ترك الصدق واستعمال الكذب وفق ما بينته السنة النبوية المطهرة؛ مع إدراك الفرق بين المرونة

(١) ابن القيم، "إعلام الموقعين عن رب العالمين"، ١: ١٣٦.

(٢) ينظر: (المطلب الأول: التأصيل الشرعي لقيمة الصدق) من المبحث الثاني؛ في الصفحة رقم: ٢٢.

(٣) أخرجه: أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، "سنن أبي داود". تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت: المكتبة العصرية)، رقم الحديث (٤٦٠٧)، ٤: ٢٠٠. صححه الألباني.

التي تلحق بالثبات، والتغير الذي يصاد الثبات؛ وقبل أن أشرع في بيان الأحوال التي يجوز فيها استعمال الكذب، سأبين أولاً الفرق بين المرونة والتغير.

### أولاً: الفرق بين المرونة والتغير.

المرونة في اللغة: مأخوذة من (مَرَّنَ مَرَانَةً وَمُرُونَةً وَمُرُونًا: لَانَ فِي صَلَابَةٍ، وَالْمَرَانَةُ: اللَّيْنُ، وَالنَّمْرَيْنُ: التَّلَيْنُ)<sup>(١)</sup>.

وفي الاصطلاح: نقول مرونة ومفردها مَرَنٌ أي: (سهل الانثناء أو التشكيل، وقابل لاستعادة وضعه بسرعة؛ وهي صفة مشبهة تدل على الثبوت من مرن؛ وذو مرونة: هو وصف يطلق على الشخص الذي يستطيع أن يعدل سلوكه لمواجهة التغيرات في البيئة المحيطة به)<sup>(٢)</sup>.

والتغير في اللغة: (يقال: جاء ببنات غير، إذا جاء بالكذب، وغيرت الشيء تغييراً أزلته عما كان عليه فتغير)<sup>(٣)</sup>.

وفي الاصطلاح: هو (عبارة عن تبديل صفة إلى صفة أخرى؛ مثل تغير الأحمر إلى الأبيض، والتغير إما في ذات الشيء أو جزئه أو الخارج عنه)<sup>(٤)</sup>. والتغير أيضاً: هو (انتقال الشيء من حالة إلى حالة أخرى)<sup>(٥)</sup>.

ويتضح الفرق من خلال ما ذكر من التعريفات لكلا اللفظين (المرونة-التغير)، واللذين يجتمعان في كونهما ينفيان معنى الثبات؛ ولكنهما يفترقان في مدى بعدهما

(١) ينظر: الفيروز آبادي، "القاموس المحيط"، ١٢٣٤؛ ومحمد بن محمد الربيدي، "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية)، ١٥٩:٣٦؛ والرازي، "مختار الصحاح"، ٢٩٣.

(٢) ينظر: عمر، "معجم اللغة العربية المعاصرة"، ٢٠٩٠:٣.

(٣) ينظر: أحمد بن فارس الرازي، "مجملة اللغة"، ٦٨٩:١؛ والحموي، "المصباح المنير"، ٤٥٨:٢.

(٤) ينظر: الكفوي، "الكليات معجم في المصطلحات والفرق اللغوية"، ٢٩٤.

(٥) ينظر: الجرجاني، "التعريفات"، ٦٣.

عن حقيقة الثبات؛ بمعنى: أن التغيير هو تبدل الحال أو الصفة وانتقالها إلى الضد، كأن يكون الثبات وضده التغيير فيكونان على طرفي نقيض، وبذلك يكون التغيير نفي كامل للثبات.

وأما المرونة فهي مقاربة للثبات وليست ضده، فهي الجانب اللين من حقيقة الثبات، ولا تنفيه بالكلية، بل تجاوزه إلى ما هو دون عنه مع بقاء الأصل وهو الثبات. ولذلك يجوز إرداف لفظ المرونة بالثبات لإدراك الحقيقة وما يقاربها، كما لا يجوز إرداف التغيير بلفظ الثبات لإدراك حقيقة ما؛ وإنما لمعرفة الحقيقة وضدها.

### ثانيا: المرونة في الشريعة الإسلامية.

فكما أن الشريعة الإسلامية جاءت بالثبات واتسمت به؛ فكذلك نجد أنها قد راعت حاجة الناس ومصالحهم؛ من حيث إن هنالك أصول وأحكام وقيم ثابتة؛ إلا أن من تلكم الأحكام الشرعية والقيم المتعلقة بالأخلاق ما اتسم أيضا بالمرونة المصاحبة لاستطاعة البشر وحاجتهم وطاقتهم وفق المصلحة الشرعية المناطة بها، قال الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٨٦]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَعدِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح: ١٧].

وقال النبي ﷺ: «إن الله وضع عن المسافر الصوم وشطر الصلاة»<sup>(١)</sup>، وأيضاً قوله ﷺ: «إن الله تعالى وضع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»<sup>(٢)</sup>.

وهناك مجموعة من القواعد الفقهية التي استنبطها العلماء من استقراءهم لنصوص الكتاب والسنة والتي تحقق مقاصد الشريعة؛ (ومن تلكم القواعد الفقهية الجامعة: الضروريات تبيح المحظورات، والمشقة تجلب التيسير)<sup>(٣)</sup>، وهذا من تخفيف الله عز وجل وتيسيره على عباده، وتحقيقاً للمرونة التي جاءت متوائمة مع الفطرة التي أوجدها الله في عباده.

### ثالثاً: الأحوال التي يجوز فيها استعمال الكذب.

لقد تبين مما تقدم ذكره حقيقة الثبات والمرونة في الشريعة الإسلامية، وتتحقق هذه السمة في قيمة الصدق التي اتسمت بالثبات أصلاً كما أنها اتسمت بالمرونة فرعاً في بعض الأحوال التي نصت عليه السنة المطهرة باستعمال ما يضاعف الصدق وهو الكذب؛ على أن تكون المصلحة الشرعية هي المقصد في إدراكها جلباً للمصلحة ودرءاً للمفسدة؛ مع التشديد على حرمة الكذب والترهيب من الوقوع فيه، والترغيب في الصدق والحث عليه.

عن أم كلثوم ابنة عقبة رضي الله عنها قالت: ما سمعت رسول الله ﷺ يرخص في شيء من الكذب إلا في ثلاث، كان رسول الله ﷺ يقول: «لا أعده كاذباً، الرجل

(١) أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني، "صحيح الجامع الصغير وزياداته". (المكتب الإسلامي)، رقم الحديث (١٨٣٥)، ١: ٣٧٥.  
 (٢) المرجع نفسه، رقم الحديث (١٨٣٦)، ١: ٣٧٥.  
 (٣) أحمد الريسوني، "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي". (ط٢)، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٩٩٢م، ٢٤٢.

يصلح بين الناس، يقول: القول ولا يريد به إلا الإصلاح، والرجل يقول: في الحرب، والرجل يحدث امرأته، والمرأة تحدث زوجها»<sup>(١)</sup>.

**فالكذب للإصلاح بين الناس:** يقول الإمام النووي رحمه الله: (يعني لا إثم عليه في الكذب بقصد الإصلاح بين اثنين، فينقل كلام خير أو قول خير لكل من المتخاصمين ما يفيد النصيحة المقتضية إلى الخير أو يقول كلام خير الذي ربما سمعه منه ويدع شره عنه، بأن يقول فلان يسلم عليك ويحبك وما يقول فيك إلا خيراً)<sup>(٢)</sup>.

**وأما الكذب في الحرب:** فيقول الإمام النووي رحمه الله: (اتفق العلماء على جواز خداع الكفار في الحرب كيف أمكن الخداع؛ إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يحل. وقد صح في الحديث جواز الكذب في ثلاثة أشياء أحدها في الحرب)<sup>(٣)</sup>.

وقال الخطابي رحمه الله: (الكذب في الحرب أن يظهر من نفسه قوة ويتحدث بما يشد به بصيرة أصحابه ويقوي منتهم ويكيد به عدوهم)<sup>(٤)</sup>.

**وأما الكذب بين الزوجين:** فيقول الخطابي رحمه الله: (فأما كذب الرجل زوجته فهو أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه يستديم بذلك محبتها ويستصلح به خلقها)<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه: أبو داود، "سنن أبي داود". رقم الحديث (٤٩٢١)، ٤: ٢٨١، ؛ وأبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، "السنن الكبرى". تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م)، رقم الحديث (٩٠٧٥)، ٨: ٢٣٦. صححه الألباني.

(٢) ينظر: أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، "عون المعبود شرح سنن أبي داود". تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، (ط٢، المدينة المنورة: المكتبة السلفية، ١٩٦٨م)، ٩: ٢١٩٨.

(٣) ينظر: المرجع نفسه، ٧: ٢٩٨.

(٤) ينظر: أبو سليمان حمد بن محمد المعروف بالخطابي، "معالم السنن". (ط١، حلب: المطبعة العلمية، ١٩٣٢م)، ٤: ١٢٤.

(٥) ينظر: المرجع نفسه، ٤: ١٢٤.

وفي هذه المواطن الثلاثة تتحقق المصلحة الشرعية، ففي الكذب في الحرب حفظ لدماء المسلمين، وتقوية رباطة جأش الجنء، وحنكة في الحرب، كما أن في الكذب للإصلاح بين الناس دعوة للاجتماع على الخير، والتآخي بين المسلمين، وحفظ ترابط المجتمع المسلم من الخصومة والتدابير فيما بينهم، كما أن الكذب بين الزوجين فيه من استجلاب الألفة والمودة بينهما، واستدامة الأواصر الأسرية حفظا للعشرة وحفاظا على الأبناء من الضياع بحصول طلاق الزوجين، فالكذب للمصلحة الشرعية بينهما بقاء لتلاحم الأسرة المسلمة، وهذه المواطن الثلاث وما فيها من مرونة باستعمال الكذب؛ يعد على خلاف ثبات الصدق في المذهب البراهماتي والذي لا يراد منه إلى تحقيق المنفعة المحضة حتى وإن كان بالكذب دون حاجة كوسيلة لتحقيق الغاية وغالبا ما تكون غايات دنيوية لا تمت للدين بصلة.

#### رابعاً: الألفاظ ذات الصلة بالمرونة بين الصدق والكذب.

إن من تمام حسن التأدب مع الشريعة الإسلامية هو خلوها من اتصاف ألفاظ النقص، وبما أن الكذب مما جاء ذمه والدعوة إلى اجتنابه والتفكير منه، فقد استعمل علماء الأمة ألفاظاً تبين قصد الشارع الحكيم من استعمال الكذب في المواطن المبينة في السنة المطهرة والتي تتحقق بها المصلحة الشرعية، وقد استعملوا ألفاظاً بيّنت تيسير الشريعة الإسلامية في قيمة الصدق بين ثباته ومرونته، ومن تلكم الألفاظ ما يلي:



أ. التعريض<sup>(١)</sup>: قال الصحابي الجليل عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما في المعاريض ما يغني الرجل عن الكذب»<sup>(٢)</sup>. وعن عمران بن حصين رضي الله عنه قال: «إن في المعاريض لمدوحة عن الكذب»<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الأثير رحمه الله: (أي سعة وفسحة. يقال: ندحت الشيء، إذا وسعته. وإنك لفي ندحة ومدوحة من كذا: أي سعة. يعني أن في التعريض بالقول من الاتساع ما يغني الرجل عن تعمد الكذب)<sup>(٤)</sup>.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (فالكذب على الشخص حرام كله سواء كان الرجل مسلماً أو كافراً براً أو فاجراً، لكن الافتراء على المؤمن أشد؛ بل الكذب كله حرام. ولكن تباح عند الحاجة الشرعية "المعاريض" وقد تسمى كذباً؛ لأن الكلام يعني به المتكلم معنى وذلك المعنى يريد أن يفهمه المخاطب فإذا لم يكن على ما يعنيه فهو الكذب المحض، وإن كان على ما يعنيه ولكن ليس على ما يفهمه المخاطب فهذه المعاريض؛ وهي كذب باعتبار الأفهام وإن لم تكن كذباً باعتبار الغاية السائغة)<sup>(٥)</sup>.

ب. التورية<sup>(٦)</sup>: قال الإمام ابن القيم رحمه الله في بيانه للتورية: (إن الكذب لا يكون قط إلا قبيحاً، وأن الذي يحسن ويجب إنما هو التورية؛ وهي صدق وقد يطلق

(١) التعريض: والمعاريض جمع معراض، من التعريض، وهو خلاف التصريح من القول. ينظر: مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر". تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م)، ٣: ٢١٢.

(٢) أخرجه: أحمد بن الحسين أبو بكر البيهقي، "السنن الكبرى". تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م)، رقم الأثر (٢٠٨٤١)، ١٠: ٣٣٥.

(٣) أخرجه: البخاري، "الأدب المفرد"، رقم الأثر (٨٥٧)، ٢٩٧. صححه الألباني.

(٤) ينظر: ابن الأثير، "النهاية في غريب الحديث والأثر"، ٥: ٣٥.

(٥) ينظر: ابن تيمية، "مجموع الفتاوى"، ٤: ١٢٤.

(٦) التورية: أن يذكر المتكلم لفظاً مفرداً له حقيقتان، أو حقيقة ومجاز أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية، ويريد المتكلم المعنى البعيد، ويوري عنه بالقرب فيوهم السامع أول وهلة أنه يريد المعنى القريب وليس كذلك؛ ولهذا سمي هذا النوع إيهاماً. ينظر: الكفوي، "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية"، ٢٧٧.

عليها الكذب بالنسبة إلى الإفهام لا إلى العناية<sup>(١)</sup>.

وكلا اللفظين -التعريض والتورية- ينطبقان على مرونة الصدق بما يحقق المصلحة الشرعية متى وجدت وكانت الحاجة ملحة لاستعمال الكذب في المواطن التي بينها النبي ﷺ. قال الإمام الماوردي رحمه الله: (وردت السنة بإرخاص الكذب في الحرب وإصلاح ذات البين على وجه التورية، والتأويل دون التصريح به. فإن السنة لا يجوز أن ترد بإباحة الكذب؛ لما فيه من التنفير، وإنما ذلك على طريق التورية والتعريض)<sup>(٢)</sup>.

#### خامسا: ضوابط ثبات قيمة الصدق ومرونته في الإسلام.

- أ- الأصل في الشريعة الإسلامية ثبات قيمة الصدق.
- ب- أن يتحرى المسلم الصدق في أموره كلها قولاً وفعلاً قصداً وإخلاصاً.
- ت- تجنب الكذب لكونه من الخصال الذميمة التي حذرنا الشارع الحكيم منها.
- ث- المرونة في قيمة الصدق باستعمال الكذب أمر طارئ لتحقيق المصلحة الشرعية.
- ج- أن لا يتخذ الزوجين من الكذب عادة تجري عليها حياتهما الزوجية.
- ح- الشريعة الإسلامية جاءت بثلاث مواطن يجوز فيها الكذب دون غيرها.

(١) ينظر: محمد بن أبي بكر ابن القيم، "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة". (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٣٦:٢.

(٢) ينظر: أبو الحسن علي بن محمد الشهير بالماوردي، "أدب الدنيا والدين". (دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م)، ٢٦٥.

### ■ المطلب الثالث: قيمة الصدق في البراغماتية.

لقد سبق الحديث عن ثبات القيم البراغماتية<sup>(١)</sup> وأن مبادئ المذهب البراغماتي تتعارض تماما مع ثبات القيم؛ نظرا لواقعها المبني على تحقيق المنفعة العملية، وبذلك أصبحت منظومة القيم في البراغماتية عبارة عن قيم متغيرة بحسب الحاجة ومقتضى الحال للوصول إلى الغاية بأي وسيلة قيمة كانت سواء بالصدق ذاته أو بالكذب المحض، الذي قد يصبح دين المتحدث على الإطلاق إن كانت مصلحته متحققة، وقد يستخدم الصدق لكسب ثقة الآخرين ممن يتعاملون معه، وتلك هي الأخرى مصلحة فردية يرتجي من ورائها المنفعة، (فالقيم في الفلسفة البراغماتية هي أمور إنسانية تتبع من صميم الحياة التي يعيشها الإنسان على ظهر هذه الأرض، وليست أخلاقا متعالية تفرض على الإنسان من جهات عليا)<sup>(٢)</sup>.

وقد يقول قائل لم الإسهاب في إيجاد محاور المقارنة بين قيمة الصدق في الإسلام والمذهب البراغماتي الذي لا يؤمن بحقيقة الدين أصلا؟

فأجيب: أن واقعنا المعاصر يشهد غزوا فكريا وعقائديا قويا من خلال وسائل الإعلام المتعددة، حتى أطبقت ويلاتها على منظومة القيم لدى بعض المسلمين؛ متأثرين بشغف الحياة غفلة حيناً وتهاونا في حين آخر، فاختلفت موازين بعض القيم الإسلامية في نفوسهم حتى أصبح البعض منهم يستعمل الكذب في كل أمور حياته فقط لتحقيق منفعته بغض النظر عن حرمة الكذب والوقوع فيه واعتياده، بل أن البعض قد يختلط عليه أمر التعريض والتورية، حتى تصبح حياته كلها تورية بالحديث دون حاجة!

(١) ينظر: (المطلب الثالث: ثبات القيم في البراغماتية) من المبحث الأول؛ في الصفحة رقم: ١٩.  
(٢) ينظر: محمد خضر شبير، "دراسة ناقدة للفلسفة البراغماتية". (غزة: الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، ٢٠١٠م)، ٥٧.

ولذا رأيت أن الحديث عن هذا الجانب مهم لبيان قيمة الصدق في الإسلام بما يقابله من الصدق في أكثر المذاهب الفكرية تقدماً للمصلحة الفردية وهي البراغماتية، كما سيتضح هذا المطلب من خلال بيان قيمة الصدق في البراغماتية وفق مبادئ هذا المذهب الفكري.

### أولاً: مصدر قيمة الصدق في البراغماتية.

إن المصدر الوحيد للقيم في البراغماتية هو الإنسان بذاته، فهو لا يؤمن إلى بالمحسوس وما يرد عليه من حقائق يثبتها العقل ويحسها الإنسان من خلال حواس الإدراك التي تخبره عن ماهية هذا الأمر ونتائجه النفعية، وهكذا تقاس القيم في البراغماتية؛ فالإنسان هو مصدر هذه القيم وفق تجاربه الحياتية التي يتعامل بها مع من حوله من البشر؛ وهنا مكن الخلل في المنظومة القيمية مما أفقدتها سمة الثبات على الفضائل والقيم النبيلة.

فإن القيم البراغماتية مصدرها هو الخبرة والنشاط الذاتي والتجربة، وهذا بالتأكيد يعني أن القيم عند البراغماتيين هي نتيجة اجتهاد الإنسان في تتابع الخبرات، وقدرته على استخلاص نتائج التفاعلات المختلفة من هذه الخبرة<sup>(١)</sup>.

وعلى ذلك فإن مصدر قيمة الصدق وضده هو التجربة الإنسانية التي تختلف غالباً من شخص لآخر، وبهذا الاختلاف تصبح القيمة متغيرة بحسب حاجة الفرد ومقتضى تحقيقه للمنفعة من الصدق والكذب على السواء.

فالفلسفة البراغماتية جعلت من الفرد مصدراً للقيم، وهذه الفردية بما يرتبط بها من فوضى وغموض تجعل الأفراد عاجزين عن تحمل النظام والرقابة والمهام الاجتماعية<sup>(٢)</sup>.

(١) ينظر: شبير، "دراسة ناقدة للفلسفة البراغماتية"، ٥٥.

(٢) ينظر: محمد مهران رشوان، "مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة". (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م)، ٨٥.

## ثانياً: مبدأ المنفعة مقدم على قيمة الصدق.

إن الصدق في المذهب البراغماتي ليس مقصوداً لذاته كقيمة نبيلة يحملها الإنسان من منطلق الاعتقاد والإيمان بكونها هي الأصل الذي فطر عليه؛ وهو الحاجة الملحة التي تبنى عليها العلاقات والتعاملات في المجتمعات البشرية؛ بل إن الصدق في المذهب البراغماتي ما كان مقترناً بتحقيق عائد نفعي يحققه الإنسان في دنياه، وهو ما يستجلب استعمال ما يضاعف الصدق أيضاً -الكذب- في كل مرة تتحقق المنفعة به إذا كانت تلك المنفعة لن تتحصل بالصدق، وبهذا تكون المنفعة مقدمة على الصدق وعلى كل القيم الأخرى.

فإن النفع المادي المستعجل في الحياة الدنيا هو وحده المسيطر على الفلسفة البراغماتية؛ أي إن أية فكرة أو عمل عند البراغماتية إنما يقاس صلاحه وفساده وخيره وشره بما يحققه من نفع مادي عاجل في الحياة الدنيا، وسيطرة مثل هذه النزعة على سلوك الناس في الحياة يحولهم إلى ذئاب لا يتعاملون إلا بالمادة ولا يتواصلون إلا حين يكون النفع حاصل<sup>(١)</sup>.

يقول وليام جيمس؛ وهو أحد مؤسسي الفكر البراغماتي في القرن التاسع عشر الميلادي: فالحقيقي ليس سوى المطلوب النافع في سبيل تفكيرنا، تماماً مثلما الصحيح ليس سوى المطلوب النافع الموافق في سبيل سلوكنا<sup>(٢)</sup>.

وهذا المبدأ على خلاف المصلحة الشرعية المتحققة بلزوم ثبات القيم الإسلامية وتحصيل المنفعة دونما الوقوع في المحذور، قال الإمام الشاطبي رحمه الله: (المصالح المجتلبة شرعاً والمفاسد المستدفةة إنما تعتبر من حيث تقام الحياة الدنيا

(١) ينظر: جمعة الخولي، "الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها". (المدينة المنورة:

الجامعة الإسلامية، ١٩٨٦م)، ٦٥-٦٦.

(٢) ينظر: جيمس، "البراغماتية"، ٢٦٢.

للحياة الأخرى، لا من حيث أهواء النفوس في جلب مصالحها العادية، أو درء مفسدها العادية<sup>(١)</sup>.

### ثالثا: نسبية قيمة الصدق في البراغماتية.

إن القيم البراغماتية نسبية؛ لأنها تقاس إلى رغبات البشر، فتتغير القيم تبعا لرغباتهم، واستجابة للتغيرات في الأحوال التاريخية، أو الديانات الجديدة، ومكتشفات العلم الحديث، وتطور التكنولوجيا، والتقدم في مجالات التربية وما إلى ذلك<sup>(٢)</sup>.

وقول الفلسفة البراغماتية بالنسبية في القيم؛ هو في حقيقته إنكار للقيم، فما كان اليوم له قيمة، قد يصبح غدا لا قيمة له، وهكذا لا يكون هناك أي ثبات لقيمة من القيم، ومعروف من بديهيات الإسلام فساد هذه الفكرة، فالفضائل ثابتة والأخلاق والقيم لا تتغير، فالصدق فضيلة في كل زمان والكذب رذيلة في كل آن، ذلك أن معيار الأخلاق عن المسلمين الشرع المطهر<sup>(٣)</sup>.

### رابعا: متغيرات قيمة الصدق في البراغماتية.

لقد تبين من خلال الحديث عن نسبية القيم البراغماتية وتقديمها لمبدأ المنفعة الفردية؛ أن قيمة الصدق ذات طابع متغير، ولا يمت للثبات بصلة، إذ الحكم على سلوك ما يعتمد على المنفعة بما يتسق مع ظروف كل فرد، وبحسب الخبرات السلوكية التي قد يراها صالحة له؛ ولذا فإن معيار قيمة الصدق والكذب سيان في المذهب البراغماتي، وتستعمل كلا الخصلتين بكونهما وسيلة لتحقيق الغاية؛ بغض النظر عن كون إحداها قيمة محمودة والأخرى مذمومة.

(١) ينظر: الشاطبي، "الموافقات"، ٢: ٦٣.

(٢) ينظر: جورج نيلر، "فلسفة التربية". ترجمة: نظمي لوقا، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١م)، ٣٤.

(٣) ينظر: شبير، "دراسة ناقدة للفلسفة البراغماتية"، ٦٠.

وإن من نتائج سمة تغير القيم البراغماتية؛ أنه يصل بها الحد للاستخفاف بصورية الصدق أو الكذب؛ نظرا لإسرافها في تقدير النتائج والآثار في مجال الحياة العملية<sup>(١)</sup>.

#### خامسا: ضوابط قيمة الصدق في البراغماتية.

- أ- قيمة الصدق وضده عنصران متساويان في السلوك البراغماتي.
- ب- أن علاقة الصدق كقيمة لها معنى في البراغماتية متصفة بمقياس المنفعة الفردية.
- ت- أن الإنسان هو مصدر القيم في البراغماتية من ذلك قيمة الصدق وضده.
- ث- انعدام وجود رادع ذاتي أو من موجه خارجي يمنع البراغماتي من الوقوع في الكذب.
- ج- أن التجربة الاجتماعية هي الحقيقة التي توجه القيم الفاضلة وضدها في التعاملات.
- ح- انعدام الثبات القيمي في منظومة القيم البراغماتية وفي مقدمها قيمة الصدق.

(١) ينظر: الطويل، "أسس الفلسفة"، ٣٣٣.

سادسا: أوجه المقارنة في قيمة الصدق بين الإسلام والبراهماتية.

أوجه المقارنة	الإسلام	البراهماتية
باعتبار المصدر	ربانية المصدر	التجربة الإنسانية
باعتبار القيمة	ذات قيمة عالية	لا قيمة لها
باعتبار المصلحة	تحقيق المصلحة الشرعية	تحقيق المصلحة الدنيوية
باعتبار المنفعة	منفعة الجماعة مقدمة	تقديم المنفعة الفردية
باعتبار الثبات	قيم ثابتة	قيم متغيرة
باعتبار المرونة	تقبل المرونة	لا تقبل المرونة
باعتبار الجزاء	يترتب عليها جزاء دنيوي وأخروي	قد يترتب عليها جزاء دنيوي

فالقيم على وجه العموم لا غنى لها عن مصدرها الأصيل الذي يوجهها لتحقيق العدل والإنصاف والمساواة بين البشر، ولا أعلم من الله عز وجل بخلقه إلا هو؛ فهو عليم بأحوالهم خبير بتصرفاتهم، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ غَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ [فاطر: 38].

فلا تتحقق مصالح العباد إلا بما وافق مقتضى الشارع الحكيم من الأمر والنهي، من التزام القيم التي أمرنا بالتمسك بها واجتناب ما نهانا عنه، فكل الهدي في الخير الذي أمرنا به وحثنا عليه دون اجتهاد منا فيما جاءت الشريعة بثباته، كلزوم أمره بالصدق واجتناب الكذب وهي وصية الأولين والآخرين. قال الأحنف لابنه: (يا بني، يكفيك من شرف الصدق، أن الصادق يقبل قوله في عدوه، ومن دناءة الكذب، أن



الكاذب لا يقبل قوله في صديقه ولا عدوه، لكل شيء حلية؛ وحلية المنطق الصدق؛ يدل على اعتدال وزن العقل<sup>(١)</sup>.

(١) ينظر: أحمد بن عبد الوهاب النويري، "نهاية الأرب في فنون الأدب". (ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ)، ٣: ٢٣٨.

## الخاتمة

الحمد لله الذي أنعم علينا بأحسن الأخلاق وأقومها، وبعث إلينا خاتم الأنبياء والمرسلين ووصفه بالخلق العظيم، وأنزل علينا كلامه المبين القرآن الكريم، مفصلاً فيه الحلال والحرام وحاتاً على مكارم الأخلاق وهو بكل خلق عليم، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين، هادياً ومبشراً ونذيراً وقدوة لعباد الله الصالحين وبعده.. فمن خلال ما تقدم بيانه في هذه الدراسة فإني قد خلصت منها بنتائج وتوصيات سأورد أهمها كما يلي: **أهم النتائج**

- أهمية ثبات القيم واتسامها بالمرونة لتحقيق المصلحة الراجحة وفق مراد الله.
- بيان دور الثبات والمرونة في تحقيق التصالح والألفة والمودة بين عباد الله.
- الدور العظيم التي تحققه القيم الإسلامية في الحفاظ على المجتمع وتلاحمه وتماسكه.

- أنّ قيمة الصدق من أعلى القيم بين الثقافات المتعددة؛ إلا أن لها مكانة عظيمة في الإسلام إذ أن الصدق أحد ركني التوحيد لله عز وجل.
  - أن قيمة الصدق في المذهب البراغماتي يتسم باليون بين الواقع وحقيقة المبدأ العملائي الذي لا يدرك إلا المصلحة الفردية المحضة.
- أهم التوصيات

- يجب على الباحثين الاهتمام بالقيم الإسلامية ومقارنتها مع الفكر الغربي لاسيما مع تعدد وسائل الغزو الفكري لقيمنا الإسلامية.
- لا بد من العناية بالقيم الإسلامية وإبرازها وبيان محاسنها التي تحفظ للمجتمع أمنه وسلامه الفكري والديني.
- إبراز دور سمة الثبات والمرونة في تحقيق مصالح العباد وفق ما جاءت به الشريعة الإسلامية السمحة ومقارنتها بالأفكار الغربية كالمذهب البراغماتي؛ لإدراك الحقيقة.

## المصادر والمراجع

ابن أبي رَمَين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله. "تفسير القرآن العزيز". تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة ومحمد بن مصطفى الكنز، (ط١، القاهرة: الفاروق الحديثة، ٢٠٠٢م).

ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد. "النهاية في غريب الحديث والأثر". تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، (بيروت: المكتبة العلمية، ١٩٧٩م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "إعلام الموقعين عن رب العالمين". تحقيق: محمد عبدالسلام إبراهيم، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩١م).

ابن القيم، محمد بن أبي بكر. "مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة". (بيروت: دار الكتب العلمية).

ابن القيم. محمد بن أبي بكر. "متن القصيدة النونية". (ط٢، القاهرة: مكتبة ابن تيمية، ١٤١٧هـ).

ابن المنذر، أبو بكر محمد. "كتاب تفسير القرآن". تحقيق: سعد بن محمد السعد، (ط١، المدينة المنورة: دار المآثر، ٢٠٠٢م).

ابن بطل، أبو الحسن علي بن خلف. "شرح صحيح البخاري". تحقيق: أبو تميم ياسر بن إبراهيم، (ط٢، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٣م).

ابن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد. "مجموع الفتاوى". تحقيق: عبد الرحمن بن محمد قاسم، (المدينة النبوية: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٩٩٥م).

ابن حنبل، أحمد. "مسند الإمام أحمد بن حنبل". تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، (ط٢، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩م).

ابن عاشور، محمد الطاهر. "التحرير والتنوير". (تونس: الدار التونسية للنشر،

.(١٩٨٤هـ).

ابن عبد السلام، أبو محمد عز الدين عبد العزيز، "قواعد الأحكام في مصالح الأنام". تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٩٩١م).

ابن فارس، أحمد. "مجل اللغة". دراسة وتحقيق: زهير بن عبد المحسن سلطان، (ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٩٨٦م).

ابن فارس، أحمد. "مقاييس اللغة". تحقيق: عبد السلام محمد هارون، (دار الفكر، ١٩٧٩م).

ابن ماجه، أبو عبد الله محمد القزويني. "سنن ابن ماجه". تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، (دار إحياء الكتب العربية).

ابن منظور، محمد بن مكرم. "لسان العرب". (ط٣، بيروت: دار صادر، ١٤١٤هـ). أبو داود، سليمان بن الأشعث السجستاني. "سنن أبي داود". تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، (بيروت: المكتبة العصرية).

أبو سليمان، د. عبدالوهاب إبراهيم. "كتابة البحث العلمي صياغة جديدة". (ط٩، الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٥م).

الألباني، أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين. "صحيح الجامع الصغير وزياداته". (المكتب الإسلامي).

الأنصاري، د. فريد. "أبجديات البحث في العلوم الشرعية". (ط١، الدار البيضاء: منشورات الفرقان، ١٩٩٧م).

البخاري، محمد بن إسماعيل. "الأدب المفرد". تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، (ط٣، بيروت: دار البشائر الإسلامية، ١٩٨٩م).

البخاري، محمد بن إسماعيل. "الجامع الصحيح". تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (ط٣، بيروت: دار ابن كثير، ١٩٨٧م).

- البيهقي، أحمد بن الحسين أبو بكر. "السنن الكبرى". تحقيق: محمد عبد القادر عطا، (ط٣، بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م).
- الترمذي، محمد بن عيسى. "سنن الترمذي". تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، (ط٢، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٧٥م).
- الجرجاني، علي بن محمد. "التعريفات". تحقيق: جماعة من العلماء بإشراف الناشر، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م).
- الجصاص، أحمد بن علي. "أحكام القرآن". تحقيق: محمد صادق القمحاوي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٥هـ).
- جيمس، وليام. "البراغماتية". ترجمة: محمد علي العريان، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠٠٨م).
- الحموي، أحمد بن محمد. "المصباح المنير". (بيروت: المكتبة العلمية).
- الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد. "معالم السنن". (ط١، حلب: المطبعة العلمية، ١٩٣٢م).
- الخلف، د. أحمد بن عبدالعزيز. "الوجيز في المذاهب الفكرية المعاصرة". (ط١، المدينة المنورة: دار الإمام مسلم، ١٤٣٧هـ).
- الخولي، جمعة. "الاتجاهات الفكرية المعاصرة وموقف الإسلام منها". (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٩٨٦م).
- الرازي، محمد بن أبي بكر. "مختار الصحاح". تحقيق: يوسف الشيخ محمد، (ط٥، بيروت: المكتبة العصرية، ١٩٩٩م).
- الرحيلي، أ.د. حمود بن أحمد. "العلمانية وموقف الإسلام منها". (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية، ١٤٢٢هـ).
- رشوان، محمد مهران. "مدخل لدراسة الفلسفة المعاصرة". (القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م).

- الريسوني، أحمد. "نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي". (ط٢، الدار العالمية للكتاب الإسلامي، ١٩٩٢م).
- الزبيدي، محمد بن محمد. "تاج العروس من جواهر القاموس". تحقيق: مجموعة من المحققين، (دار الهداية).
- زهران، د. حامد. "علم النفس الاجتماعي". (ط١، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٧م).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. "الاعتصام". تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، (ط١، السعودية: دار ابن عفان، ١٩٩٢م).
- الشاطبي، إبراهيم بن موسى. "الموافقات". تحقيق: مشهور بن حسن آل سلمان، (ط١، دار ابن عفان، ١٩٩٧م).
- شبير، محمد خضر. "دراسة ناقدة للفلسفة البراغماتية". (غزة: الجامعة الإسلامية، رسالة ماجستير، ٢٠١٠م).
- الطبري، محمد بن جرير. "جامع البيان في تأويل القرآن". تحقيق: أحمد محمد شاكر، (ط١، ٢٠٠٠م).
- طرابيشي، جورج. "معجم الفلاسفة". (ط٣، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م).
- الطويل، د. توفيق. "أسس الفلسفة". (ط٣، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر).
- الطويل، د. توفيق. "مذهب المنفعة العامة في فلسفة الأخلاق". (ط١، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية للطباعة والنشر، ١٩٥٣م).
- العبيدي، د. حمّادي. "الشاطبي ومقاصد الشريعة". (ط١، بيروت: دار قتيبة، ١٩٩٢م).
- العظيم آبادي، أبو الطيب محمد شمس الحق. "عون المعبود شرح سنن أبي داود". تحقيق: عبدالرحمن محمد عثمان، (ط٢، المدينة المنورة: المكتبة السلفية،

(١٩٦٨م).

عمر، د. أحمد مختار عبد الحميد. "معجم اللغة العربية المعاصرة". (ط١، عالم الكتب، ٢٠٠٨م).

الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد. "العين". تحقيق: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، (دار ومكتبة الهلال).

الفيروز آبادي، أبو طاهر محمد. "القاموس المحيط". تحقيق: مكتب تحقيق التراث، (ط٨، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر، ٢٠٠٥م).

القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد. "الجامع لأحكام القرآن". تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، (ط٢، القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٦٤م).

القسطلاني، أحمد بن محمد بن أبي بكر. "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". (ط٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣هـ).

الكفوي، أيوب بن موسى الحسيني. "الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية". تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، (بيروت: مؤسسة الرسالة).

المانع، د. مانع بن محمد. "القيم بين الإسلام والغرب". (ط١، الرياض: دار الفضيلة، ٢٠٠٥م).

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد. "أدب الدنيا والدين". (دار مكتبة الحياة، ١٩٨٦م).

مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج. "المسند الصحيح". (بيروت: دار الجيل، ١٣٣٤هـ).

مكيا فيلي، نيكولا. "الأمير". ترجمة: أكرم مؤمن، (القاهرة: مكتبة ابن سينا للطبع والنشر والتوزيع).

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب. "السنن الكبرى". تحقيق: حسن عبد المنعم شلبي، (ط١، بيروت: مؤسسة الرسالة، ٢٠٠١م).

النويري، أحمد بن عبد الوهاب. "نهاية الأرب في فنون الأدب". (ط١، القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، ١٤٢٣هـ).  
نيلر، جورج. "فلسفة التربية". ترجمة: نظمي لوقا، (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١م).  
الوادعي، أبو عبدالرحمن مقبل بن هادي. "تحفة المجيب على أسئلة الحاضر والغريب". (ط٢، صنعاء: دار الآثار، ٢٠٠٢م).